

جامعة ابن خلدون - تيارت-

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

مقياس: تاريخ الفكر السياسي س2

السنة: أولى علوم سياسية

الأستاذ: عمر بكيري

المحور الخامس: الفكر السياسي العربي

الحديث

مقدمة:

شهد العالم العربي و الإسلامي الكثير من الأحداث و التطورات التي أدت إلى ظهور ما يسمى بالفكر العربي الإسلامي الحديث و المعاصر، حيث شمل هذا الفكر دراسات وأفكار و بحوث خصت قضايا و مشكلات مطروحة في البيئة الفكرية الثقافية الدينية، و السياسية الاجتماعية الاقتصادية للعالم العربي الإسلامي.

هذه القضايا بعضها قديمة تجددت، و بعضها الآخر حديثة و معاصرة، ما انعكس ذلك على هذا الفكر الذي جاء تراثيا من جانب و حداثيا من جانب آخر، تبعا لاختلاف مواضيع و قضايا الدراسة كما قلنا، و تبعا لاختلاف المناهج المتبعة فيها، لذلك أنتج تفاعل المفكر مع بيئته تيارات متعددة؛ إسلامية دينية، قومية وطنية، لبرالية علمانية و إصلاحية... الخ، للتعامل مع مختلف التحديات التي عاشتها و تعيشها الأمة العربية و الإسلامية؛ كالاستعمار، قضايا التحرر، الدولة القطرية و الوحدة العربية الإسلامية، التبعية و الاستقلال، الهوية و العرقية... الخ.

من أهم رواد الفكر السياسي العربي الحديث على سبيل الذكر لا الحصر: رفاة الطهطاوي، الأفغاني،

ساطع الحصري، محمد عبده... الخ

المحاضرة العاشرة: التيار الليبرالي في الفكر

السياسي العربي

مقدمة

شهد العالم العربي في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين فترة تاريخية مفصلية عُرفت بعصر النهضة العربية، تميزت هذه الفترة بظهور تيارات فكرية متنوعة حاولت الإجابة على سؤال محوري: كيف يمكن للمجتمعات العربية أن تهض من حالة التخلف والجمود و تلحق بركب الحداثة والتقدم؟ كان التيار الليبرالي أحد أهم التيارات الفكرية التي نشأت خلال هذه الفترة، وقد حمل رواده مشروعاً فكرياً و سياسياً يسعى إلى تحديث المجتمعات العربية من خلال تبني قيم الحرية والعقلانية والديمقراطية والمواطنة.

أولاً: السياق التاريخي لنشأة التيار الليبرالي العربي

1- الظروف السياسية والاجتماعية:

لا يمكن فهم نشأة التيار الليبرالي العربي بمعزل عن السياق التاريخي الذي ظهر فيه، فقد كانت المنطقة العربية في القرن التاسع عشر تخضع في معظمها للسيطرة العثمانية، التي كانت تعاني من ضعف و تراجع متزايدين. و في الوقت نفسه، كانت القوى الاستعمارية الأوروبية تتوسع في المنطقة، حيث احتلت فرنسا الجزائر عام 1830، و بريطانيا مصر عام 1882. وقد خلق هذا الواقع السياسي المأزوم شعوراً عاماً بضرورة التغيير والإصلاح لدى النخب العربية المتعلمة.

من الناحية الاجتماعية، شهدت المنطقة العربية تحولات مهمة، من أبرزها:

- ظهور طبقة وسطى جديدة من التجار والمهنيين والمتعلمين، خاصة في مصر وبلاد الشام.
- انتشار التعليم الحديث، سواء عبر البعثات التعليمية إلى أوروبا أو من خلال المدارس الحديثة التي أنشئت في المنطقة.
- تطور وسائل الطباعة والنشر، مما أدى إلى ازدهار الصحافة و النشر في مصر و بلاد الشام.

2- العوامل الثقافية والفكرية:

تأثر التيار الليبرالي العربي بعدة عوامل ثقافية و فكرية، أهمها:

1. الاحتكاك بالغرب: سواء من خلال البعثات التعليمية أو الترجمة أو الاستعمار المباشر، تعرف المثقفون العرب على الفكر الليبرالي الأوروبي و نماذج الدولة الحديثة القائمة على الدستور و المؤسسات.

2. **الإصلاح الديني**: قام رواد الإصلاح الديني مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغاني بمحاولات لتجديد الفكر الإسلامي وتأكيد توافقه مع العقل والعلم الحديث، مما مهد الطريق للتفكير الليبرالي في إطار يراعي الخصوصية الثقافية.

3. **حركة الترجمة**: شهد القرن التاسع عشر نشاطاً كبيراً في ترجمة الأعمال الأدبية والفكرية الغربية إلى العربية، خاصة أعمال فلاسفة التنوير والثورة الفرنسية مثل روسو و مونتسكيو و فولتير.

4. **الإصلاحات العثمانية**: شجعت إصلاحات التنظيمات العثمانية (1839-1876) على تبني بعض المفاهيم الليبرالية مثل المساواة أمام القانون و حقوق المواطنة.

ثانياً: أبرز رواد التيار الليبرالي العربي وإسهاماتهم الفكرية

1- رفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873)

يُعد الطهطاوي من أوائل المفكرين العرب الذين تأثروا بالفكر الليبرالي الغربي ونقلوه إلى السياق العربي. بعد عودته من فرنسا، حيث كان مرافقاً للبعثة المصرية، ألف كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" (1834)، الذي قدم فيه وصفاً للمجتمع الفرنسي ونظامه السياسي، مع إشادة خاصة بفكرة الحرية السياسية والمساواة أمام القانون.

من أهم أفكاره:

- الدعوة إلى نظام سياسي قائم على القوانين والمؤسسات.
- التوفيق بين الإسلام والأفكار الليبرالية، حيث رأى أن الشورى الإسلامية تتوافق مع الديمقراطية الغربية.
- التأكيد على أهمية التعليم الحديث للنهضة، خاصة تعليم المرأة.

2- خير الدين التونسي (1822-1890)

قدم خير الدين التونسي في كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" (1867) رؤية إصلاحية تدعو إلى الاقتباس الانتقائي من التجربة الأوروبية مع الحفاظ على الهوية الإسلامية. دافع عن فكرة أن تقدم أوروبا لم يكن بسبب المسيحية، بل بسبب نظمها السياسية القائمة على الحرية و العدل و المشاركة.

من أهم أفكاره:

- ضرورة تقييد سلطة الحاكم بالقوانين والمؤسسات التمثيلية.
- أهمية الإصلاح الإداري ومحاربة الفساد.
- دعم التعليم الحديث والتنمية الاقتصادية.

3- أحمد لطفي السيد (1872-1963)

يُلقب بـ"أستاذ الجيل وأبو الليبرالية المصرية، وكان من أهم دعاة النظام الديمقراطي الليبرالي في مصر. ترأس تحرير جريدة "الجريدة" (1907) التي كانت منبراً للأفكار الليبرالية، وترجم أعمال أرسطو إلى العربية.

من أهم أفكاره:

- الفردية: اعتبر أن الفرد هو أساس المجتمع، وأن حرية الفرد هي الضمانة الأساسية للتقدم.
- الوطنية المصرية: دعا إلى فكرة الوطنية المصرية بدلاً من الجامعة الإسلامية أو العثمانية.
- العقلانية: آمن بالعقل كمرجعية أساسية للحكم على الأشياء والأفكار.
- الليبرالية الاقتصادية: دافع عن حرية التجارة والملكية الخاصة.

4- قاسم أمين (1863-1908)

اشتهر بدفاعه عن حقوق المرأة في كتابيه "تحرير المرأة" (1899) و"المرأة الجديدة" (1900)، رأى أمين أن تحرير المرأة شرط أساسي لتحرير المجتمع وتقدمه، وأن تخلف المرأة هو أحد أهم أسباب تخلف المجتمعات العربية.

من أهم أفكاره:

- الدعوة إلى تعليم المرأة وتمكينها اقتصادياً واجتماعياً.
- انتقاد الحجاب والعزل الاجتماعي للمرأة باعتبارهما من العادات وليس من أساسيات الدين.
- المطالبة بإصلاح قوانين الأحوال الشخصية، خاصة في قضايا الطلاق وتعدد الزوجات.

5- طه حسين (1889-1973)

يعتبر طه حسين من أبرز المفكرين الليبراليين في النصف الأول من القرن العشرين. دافع عن العقلانية والعلمانية وحرية الفكر، وأثار جدلاً كبيراً بكتابه "في الشعر الجاهلي" (1926) الذي طبق فيه المنهج النقدي على التراث.

من أهم أفكاره:

- الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة والسياسة.
- التأكيد على الهوية المصرية المتوسطة المنفتحة على أوروبا.
- الإيمان بالتعليم كأساس للنهضة والتقدم.
- الدفاع عن الحريات الفكرية والسياسية.

ثالثاً: المبادئ والأفكار الأساسية للتيار الليبرالي العربي

على الرغم من التنوع الفكري بين رواد التيار الليبرالي العربي، إلا أنه يمكن تحديد عدد من المبادئ والأفكار المشتركة التي ميزت هذا التيار:

1- العقلانية والنزعة العلمية:

آمن الليبراليون العرب بالعقل كأداة رئيسية للمعرفة والنقد، ودعوا إلى تبني المنهج العلمي في التعامل مع قضايا المجتمع. لم يكن ذلك يعني بالضرورة رفض الدين، بل محاولة التوفيق بينه وبين العقل، كما في مشروع محمد عبده الإصلاح، أو الدعوة إلى تحييد الدين عن السياسة كما في فكر طه حسين.

2- الحرية بمفهومها الشامل:

شكلت الحرية بمختلف أبعادها: السياسية (المشاركة في صنع القرار)، الفكرية (حرية التعبير والنشر)، الاقتصادية (الملكية الخاصة وحرية التجارة)، الشخصية (حقوق الفرد وخصوصيته) محوراً أساسياً في الفكر الليبرالي العربي، حيث دافع لطفي السيد عن الحرية الفردية كأساس للتقدم، بينما رأى سلامة موسى في كتابه "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ" أن حرية الفكر هي أساس كل تقدم حضاري.

3- الدستورية والنظام النيابي:

دعا الليبراليون العرب إلى تقييد سلطة الحاكم بدستور وقوانين، وطالبوا بإنشاء مجالس نيابية تمثل الشعب وتشارك في التشريع والرقابة على السلطة التنفيذية. وقد انخرط العديد منهم في الحركات الدستورية، مثل ثورة 1919 في مصر، والمطالبات بالدساتير وفصل السلطات.

4- المواطنة والمساواة:

- تبني مفهوم المواطنة القائم على المساواة بين جميع أفراد المجتمع.
- رفض التمييز على أساس الدين أو العرق أو الجنس.
- الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات.
- المناداة بالمساواة أمام القانون كمبدأ أساسي للدولة الحديثة.

5- الانفتاح على الغرب مع الحفاظ على الهوية:

- حاول رفاة الطهطاوي و خير الدين التونسي تقديم نموذج للاقتباس الانتقائي من الغرب بما لا يتعارض مع المبادئ الإسلامية.
- رفض التقليد الأعمى أو الرفض المطلق للغرب.
- محاولة التوفيق بين قيم الحداثة الغربية والموروث الثقافي العربي الإسلامي.
- كما عبر خير الدين التونسي: "اقتباس ما عندهم من المنافع... ما لم يصادم نصاً شرعياً".

6- الفردية:

- التأكيد على قيمة الفرد وحقوقه مقابل سلطة الجماعة.
- اعتبار الفرد الحر المسؤول هو أساس المجتمع المتقدم.
- الإيمان بأن تقدم المجتمع يبدأ من تحرير الفرد و تنمية قدراته.
- الدفاع عن الملكية الخاصة كامتداد للحرية الفردية.

7- الإصلاح التدريجي:

- تفضيل التغيير التدريجي المنظم على الثورات العنيفة.
- التركيز على الإصلاح التربوي والتعليمي كمدخل للتغيير.
- الإيمان بأن النهضة عملية تراكمية طويلة الأمد وليست تحولاً فجائياً.
- الدعوة إلى تطوير المؤسسات القائمة بدلاً من هدمها.

8- العلمانية والإصلاح الديني:

- رأى معظم الليبراليين العرب أن الإصلاح الديني ضروري للنهضة.
- الدعوة إلى فصل نسبي بين الدين و السياسة (و ليس العلمانية بمفهومها الغربي الشامل).
- التمييز بين الدين كعقيدة شخصية والدولة كمؤسسة سياسية مدنية.
- رفض سيطرة رجال الدين على المجال السياسي والاجتماعي.
- محاولة تأويل النصوص الدينية و قراءتها بما يتوافق مع متطلبات العصر قراءة عقلانية مستنيرة.
- ميّزوا بين الجوهر الروحي والأخلاقي للدين وبين التقاليد والأعراف التي تراكمت حوله.

9- تحرير المرأة:

- اعتبر الليبراليون العرب قضية تحرير المرأة جزءاً أساسياً من مشروع النهضة.
- دافع قاسم أمين عن حق المرأة في التعليم والعمل والمشاركة العامة.
- انتقد الليبراليون بعض العادات والتقاليد المتعلقة بالمرأة مثل الحجاب والعزلة الاجتماعية.
- ربطوا بين تحرر المرأة وتقدم المجتمع ككل.

10- الوطنية والقومية:

- تبني الليبراليون العرب مفهوم الوطنية الإقليمية (المصرية، السورية، اللبنانية، إلخ).
- اهتموا بتعزيز الهوية الوطنية كإطار للانتماء يتجاوز الانتماءات التقليدية.
- دعا بعضهم لاحقاً إلى فكرة القومية العربية كإطار أوسع للتضامن.
- حاولوا التوفيق بين الخصوصية الوطنية والانفتاح على القيم الإنسانية العالمية.

11- التنمية الاقتصادية:

- آمن الليبراليون العرب بأهمية التنمية الاقتصادية كركيزة للنهضة.
- دعموا الملكية الخاصة وحرية المبادرة الفردية.
- طالبوا بتحديث البنية التحتية والزراعة والصناعة.
- اهتموا بالتعليم التقني والمهني إلى جانب التعليم الأكاديمي.

-12- الفصل بين السلطات:

- تبنى الليبراليون العرب مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية و التنفيذية والقضائية.
- دعوا إلى استقلال القضاء كضمانة للحريات والحقوق.
- طالبوا بتقييد صلاحيات السلطة التنفيذية لمنع الاستبداد.
- ناضلوا من أجل تأسيس حياة برلمانية تعددية.

-13- سيادة القانون:

- أكد الليبراليون العرب على أهمية سيادة القانون وخضوع الجميع له، حكماً و محكومين.
- دعوا إلى تقنين القوانين وتحديثها بما يتناسب مع متطلبات العصر.
- طالبوا بإلغاء الامتيازات القانونية للأجانب (الامتيازات الأجنبية).
- اعتبروا المحاكم المدنية الحديثة ضمانة لتحقيق العدالة.

-14- التعددية الفكرية والسياسية:

- آمن الليبراليون العرب بحق الاختلاف والتعددية الفكرية.
- دافعوا عن حرية تشكيل الأحزاب السياسية.
- رفضوا فرض رأي واحد أو أيديولوجية واحدة على المجتمع.
- اعتبروا التنوع مصدر ثراء وليس تهديداً.

-15- نشر التعليم والثقافة:

- جعل الليبراليون العرب من التعليم أولوية قصوى في مشروعهم النهضوي.
- دعوا إلى تعميم التعليم ليشمل جميع فئات المجتمع بما فيها النساء.
- اهتموا بتحديث مناهج التعليم وأساليبه.
- اعتبروا الترجمة والتأليف والصحافة وسائل أساسية لنشر الوعي والثقافة.

خاتمة:

هذه المبادئ والأفكار شكلت معاً مشروعاً متكاملماً للنهضة والتحديث في المجتمعات العربية، وإن اختلفت درجة التأكيد على كل منها من مفكر لآخر حسب السياق التاريخي والجغرافي الذي عمل فيه.

نموذج عن الفكر الليبرالي العربي: الفكر

السياسي عند رفاة الطهطاوي

أولاً: المولد والنشأة

1. مولده:

ولد الطهطاوي سنة 1801 بمدينة "طهطه" بصعيد مصر، التحق بالأزهر سنة 1817 و أتم دراسته فيه سنة 1822. أبتعث سنة 1826 إماماً للبعثة التعليمية التي أوفدها محمد علي باشا إلى فرنسا، لكن ما لبث أن ألحق بها كطالب بسبب نبوغه و إتقانه اللغة الفرنسية في وقت قصير، و قد أتاح له ذلك الإطلاع على أمهات الكتب في التاريخ القديم، الفلسفة اليونانية، الرياضيات و المنطق، كما قرأ لكبار مفكري النهضة و عصر الأنوار الفرنسيين.

2. مساهماته:

عاد الطهطاوي إلى مصر سنة 1831 أين حاول نقل تجربته الأوربية من أجل النهوض بالتعليم في بلده مصر، فقام بترجمة بعض الكتب في الهندسة و الجيولوجيا و الجغرافيا و الطب، كما أسس مدرسة للترجمة، و نشر كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" سنة 1834، هذا الأخير الذي ضم وصفا كاملاً للمؤسسات السياسية الرئيسية في فرنسا، و الأحداث السياسية الكبرى التي عايشها خلال إقامته هناك، كما ألقى الضوء فيه على طبيعة و أوضاع العلم في أوروبا، مقدماً لقرائه أعمال كبار المؤلفين و ملامح الثقافة الفرنسية، ساعياً لإبراز أهمية التقدم العلمي في شتى العلوم ودوره في إحداث النهضة الحضارية لفرنسا.

3. كتاباته:

توفي الطهطاوي سنة 1873، من أهم مؤلفاته: "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، "المرشد الآمن للبنات و البنين"، "القول السديد في الاجتهاد و التجديد"، "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز".

ثانياً: أهم أفكاره

لم تكن أفكار الطهطاوي مجرد نقل و ترديد للأفكار الغربية، بل كانت أفكاراً تجديدية حاول فيها مزج الموروث الإسلامي التقليدي مع الفكر الغربي الحديث.

من أهم أفكاره نذكر ما يلي:

1- في الحكم والسياسية

- الحكومة ضرورية للمجتمع فلا حياة بدونها، و يجب على الناس المشاركة الفعالة في الحكم، بعد أن يتم إعدادهم لذلك.
- يجب أن تواكب القوانين ظروف المجتمع، لأن ما يصلح في زمان و مكان معين قد لا يصلح بالضرورة في غيرهما.
- يجب أن يرتبط المجتمع بموقع جغرافي معين، فهو ناتج عن العيش في مكان واحد.
- حب الوطن يمثل ركيزة كل الفضائل السياسية.
- النظام السياسي يقوم على طرفين: قوة حاكمة ترعى مصالح الأمة، و قوة محكومة تتمتع بالحرية و المساواة و حق المشاركة في المنافع العمومية، فالناس ليسوا ملكا للحكومة، بل هم أحرار لهم حق التمتع بخيرات بلادهم.
- فكرة إعطاء الحكم للشعب غير ملائمة لظروف بلاده مصر، التي يحكمها فرد مستبد مسلم.
- إصلاح الحكم يتطلب من الحاكم أن يستخدم سلطته استخداما رشيدا، فسلطته ليست مطلقة، بل لها حدود تفرضها الشريعة الإسلامية.
- أعباء الحكم لا يستطيع حملها فرد واحد، و على الحاكم أن يفوض سلطته لمجالس تقام لذلك الغرض.
- مصدر السلطة هو الله، و بذلك يكون الحاكم مسؤولا أمامه عن جميع أعماله، و كي لا يزيغ عن الصواب عليه أن يستعين بمشورة العلماء في شتى مجالات المعرفة، دون أن يقتصر ذلك على علماء الدين فقط.
- العلاقة بين الحاكم و المحكومين قائمة على الحقوق و الواجبات، فللحاكم على الناس حق الطاعة، و للناس على الحاكم حق إقامة العدل و تحقيق المساواة و الحرية، و حماية أرواحهم و ممتلكاتهم وفقا لمقتضيات الشريعة.
- ذكر الطهطاوي نوعا آخر من الحقوق سماها الحقوق المدنية، و تعني عنده حقوق الناس تجاه بعضهم البعض، و هي التي تجعل كل فرد ملزما بمساعدة غيره على فعل كل شيء لا يخالف الشريعة، و حق الفرد في ممارسة حريته بشتى أنواعها دون المساس بحرية الآخرين، فالحقوق المدنية عنده هي نوع من التعاقد غير المكتوب بين المواطنين.

2- في الحرية و المساواة

- يرى الطهطاوي أن الناس جميعا متساوون بحكم الطبيعة، رغم اختلافهم في القوة البدنية، القدرات العقلية، و الثروة المادية. إن هذه المساواة هي ذات طبيعة قانونية، فهم متساوون أمام القانون، (بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية)، في حقوقهم و واجباتهم نحو وطنهم.

■ يرى الطهطاوي أن المساواة هي حجر الأساس للحقوق المدنية في الأمم المتحضرة، بينما الحرية هي جوهر تلك الحقوق.

■ تعني الحرية عند الطهطاوي؛ حرية الناس في التنقل، العمل، التصرف في الممتلكات، التعبير عن الآراء ضمن القانون و دون التعرض لحرية الآخرين.

3- في الشريعة والقانون

■ يرى الطهطاوي أنه لا يوجد فرق كبير بين مبادئ " الشريعة الإسلامية" و مبادئ " القانون الطبيعي" الذي يرتكز عليه التشريع الأوروبي، و أن الشريعة الإسلامية يجب أن تفسر تفسيراً يتفق مع حاجيات العصر، و واجب العلماء المسلمين هنا هو التعرف على العالم الحديث، و دراسة العلوم العقلية دون الاكتفاء بالعلوم الشرعية، لأن العلوم العقلية كان لها شأن كبير في الحضارة الإسلامية من قبل، وأن الحضارة الغربية قائمة عليها الآن و على المسلمين مواكبة ذلك.

4- في الوطن والأمة

■ يعتبر الطهطاوي أول مفكر عربي يصوغ مصطلح "الوطن"، و هو بمثابة علامة على تجاوز المفهوم الإسلامي للأمة، التي تربط كل من يدين بالإسلام مهما كان جنسه و محله.

■ يرى الطهطاوي أن الدين ليس من بين الأسس التي تقوم عليها الأمة، فالأمة عنده الآن تعني العرق كما تعني الوطن ذاته، و يعرفها على أنها "جماعة من الناس يعيشون معا في بلد واحد، يتحدثون لغة واحدة، و يشتركون معا في العادات و التقاليد و الأخلاق، و يخضعون لحكومة واحدة و قانون واحد".

■ اعتبر الطهطاوي أن مصر هي وطنه، و هي جزء من الأمة الإسلامية، لكنها مثلت أمة قائمة بذاتها في الأزمنة القديمة كما الحديثة على السواء، و أن من يعيشون على أرضها الآن يشكلون أمة تشترك في نفس الحقوق و الواجبات دون تمييز.

5- في المرأة والأسرة

■ سعى الطهطاوي إلى تحقيق التوازن في العلاقة بين الزوجين، لذلك تطرق للمرة الأولى في العالم الإسلامي إلى حقوق المرأة، مؤكداً على المساواة بينها و بين الرجل في الصفات الجسدية و القدرات العقلية، و وجه الاختلاف بينهما يكمن في النوع فقط.

■ يرى الطهطاوي أن الزوجين متساويان في الحقوق و الواجبات، و عليهما أن يشتركا معا في إدارة أمور الأسرة و تربية الصغار، و أن يكون الود و الرحمة أساس التعامل بينهما و ليس علاقة السيد بالمسود، لذلك وجب تعليم البنات لتحقيق الزواج المتجانس و تربية الصغار تربية صالحة.

- اقترح الطهطاوي نوعاً من تقسيم العمل بين الرجال والنساء، حيث تختص النساء بالتمريض والتعليم إلى جانب تربية الأطفال، كما يرى أن العمل يصون المرأة و يقرها من الفضيلة.

6- في التعليم والتقدم الحضاري

- يرى الطهطاوي أن الحضارة لا تبنى إلا من خلال التقدم في العلوم والفنون، لذلك فواجب الدولة تشجيع التعليم ورعاية العلماء، فالتعليم بالنسبة إليه ضروري ضرورة الخبز والماء، و هدفه هو بناء الفرد و تعليمه كيف يفكر و ليس مجرد حشو للأذهان بالمعلومات.
- التعليم عند الطهطاوي يجب أن يتضمن المعرفة بالصحة البدنية، العائلة و واجباتها، قواعد و آداب السلوك، و فوق كل ذلك الوطنية التي تحرك الإنسان لبناء مجتمع متحضر.
- اعتبر الطهطاوي أن التعليم الديني من الأسس التي يجب أن توضع في مناهج التعليم العام، لأنه أساس تكوين الأخلاق و سلامة السلوك، و يتضمن منهاج الدين عنده القرآن و السنة و الفقه.
- أكد الطهطاوي أن الوقت قد حان لكي يتجه المسلمون إلى أوروبا طلباً للعلم و بحثاً عن أسباب التقدم الحضاري التي تزخر بها شتى العلوم هناك.
- في الأخير نقول أن رفاة الطهطاوي كان رائداً من رواد التجديد في الفكر العربي في القرن التاسع عشر، بما قدمه من أفكار و إسهامات بغية تطوير المجتمع العربي الإسلامي على أسس إسلامية تجديدية على طريق علوم الحضارة الغربية.

المحاضرة الحادية عشر: التيار الديني في الفكر

السياسي العربي

مقدمة

شهدت المنطقة العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حركة فكرية وثقافية واسعة عُرفت باسم "عصر النهضة العربية" أو "اليقظة العربية". ظهرت هذه الحركة كرد فعل على تحديات العصر الحديث والاحتكاك بالحضارة الغربية، وكمحاولة لإحياء الحضارة العربية الإسلامية وتطويرها حيث ظهرت تيارات فكرية متنوعة سعت إلى إعادة تفسير التراث الديني وتجديده بما يتماشى مع متطلبات العصر الحديث، و من بينها التيار الإصلاحى الدينى سعى إلى إصلاح المجتمع والنهوض به، من خلال العودة إلى أصول الإسلام وتجديد الفكر الدينى، والتوفيق بين الإسلام ومتطلبات العصر الحديث الذى .

أولاً: السياق التاريخى لنشأة الفكر الإصلاحى والثورى

1. الظروف السياسية والاجتماعية:

- تفكك الإمبراطورية العثمانية تدريجياً.
- التوسع الاستعماري الأوروبي في البلدان العربية.
- الصدمة الحضارية بعد حملة نابليون على مصر (1798).
- التفاوت الواضح بين التقدم الأوروبي والتخلف في العالم العربي.

2. الاحتكاك بالغرب وتأثيراته

- البعثات التعليمية إلى أوروبا، خاصة في عهد محمد علي باشا.
- ترجمة الأعمال الأوروبية إلى العربية.
- انتشار الطباعة وظهور الصحافة العربية.
- تأسيس المدارس الحديثة والإرساليات التبشيرية.

ثانياً: رواد الفكر الإصلاحى الدينى وأهم أفكارهم

من أبرز رواد الفكر العربي الإصلاحى الدينى نذكر:

1. جمال الدين الأفغاني (1838-1897):

كان الأفغاني مفكراً وناشطاً سياسياً بارزاً، تنقل بين العديد من البلدان الإسلامية داعياً إلى الإصلاح والوحدة ومقاومة الاستعمار.

أفكاره الرئيسية:

- الوحدة الإسلامية (الجامعة الإسلامية): دعا الأفغاني إلى وحدة المسلمين تحت راية الخلافة الإسلامية كسبيل لمواجهة الاستعمار الغربي.
- الإصلاح السياسي: انتقد الحكم المطلق والاستبدادي، ودعا إلى الإصلاح السياسي القائم على الشورى و العدل.
- مقاومة الاستعمار: اعتبر أن الاستقلال السياسي شرط أساسي للنهضة والتقدم، ودعا إلى مقاومة الاستعمار بكل الوسائل المتاحة.
- العقلانية: أكد على ضرورة إعمال العقل في فهم الدين، ونبذ التقليد والجمود الفكري الذي أصاب المجتمعات الإسلامية.

2. محمد عبده (1849-1905)

تلميذ الأفغاني وأحد أبرز رواد الإصلاح الديني في العالم العربي. تولى منصب مفتي الديار المصرية وقاد حركة إصلاحية واسعة شملت مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية.

أفكاره الرئيسية:

- إصلاح التعليم: اعتبر عبده أن إصلاح التعليم هو المدخل الأساسي للإصلاح السياسي والاجتماعي.
- الشورى والحكم الدستوري: دعا إلى تبني نظام الحكم القائم على الشورى والدستور، معتبراً أن الحاكم مقيد بأحكام الشريعة وإرادة الأمة.
- دور العلماء في السياسة: رأى عبده أن للعلماء دوراً مهماً في الحياة السياسية من خلال توجيه الحكام ونصحهم وتفسير الشريعة بما يناسب العصر.
- التدرج في الإصلاح: آمن بضرورة التدرج في الإصلاح السياسي عبر نشر التعليم والوعي بين أفراد المجتمع قبل المطالبة بالحقوق السياسية.

3. عبد الرحمن الكواكبي (1855-1902)

أحد أبرز المفكرين السياسيين في عصر النهضة، اشتهر بكتابه "طبائع الاستبداد" و"أم القرى" اللذين يعدان من أهم الأعمال التي تناولت قضايا الاستبداد والإصلاح السياسي في الفكر العربي الحديث.

أفكاره الرئيسية:

- **نقد الاستبداد:** قدم الكواكبي تحليلاً عميقاً للاستبداد السياسي وأثاره المدمرة على المجتمع، واعتبره السبب الرئيسي لتخلف الأمة الإسلامية.
- **فصل السلطات:** دعا إلى فصل السلطات الدينية عن السلطة السياسية، ورفض استغلال الدين لتبرير الاستبداد.
- **النظام الفيدرالي:** اقترح في كتابه "أم القرى" إقامة نظام فيدرالي يجمع البلدان العربية، يكون مقره مكة المكرمة، ويقوم على أساس لا مركزي يضمن حقوق مختلف المكونات.
- **حقوق الإنسان:** أكد على أهمية احترام كرامة الإنسان وحقوقه، واعتبر الحرية حقاً طبيعياً للإنسان.

4. محمد رشيد رضا (1865-1935)

تلميذ محمد عبده وصاحب مجلة "المنار" التي كانت منبراً للفكر الإصلاحية. تميز فكره بالتوفيق بين السلفية والتجديد.

أفكاره الرئيسية:

- **الخلافة الإسلامية:** اهتم رضا بمسألة الخلافة وخاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية عام 1924، وألف كتاب "الخلافة أو الإمامة العظمى" الذي عرض فيه رؤيته لنظام الحكم الإسلامي.
- **الشورى والديمقراطية:** رأى أن الشورى واجبة في الإسلام، وأن النظام الديمقراطي يمكن أن يكون وسيلة لتحقيقها في العصر الحديث.
- **الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية:** دعا إلى إقامة دولة مدنية تستمد قوانينها من الشريعة الإسلامية، ويتم فيها انتخاب الحاكم من قبل أهل الحل والعقد.
- **إصلاح التشريع الإسلامي:** طالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي وفقاً لمقاصد الشريعة وما يناسب العصر الحديث. * تفسيره للقرآن بمنهجية تجمع بين الأصالة والمعاصرة

ثالثاً: القضايا المحورية في الفكر الإصلاحية الديني

1- العلاقة بين الدين والدولة

- الدعوة لإحياء الخلافة والحكم الإسلامي على اعتبار أن الإسلام دين و دولة و نظام حياة متكامل.
- محاولات التوفيق بين مفاهيم الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية.
- الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم والتشريع.
- مناهضة العلمانية وفصل الدين عن الدولة.
- الدعوة إلى الأمة الإسلامية كوحدة تتجاوز الحدود الوطنية.
- اعتبار القرآن والسنة النبوية المصدرين الأساسيين للتشريع.

- تقديس النصوص الدينية واعتبارها صالحة لكل زمان ومكان.
- الاعتزاز بالتراث الإسلامي والعودة إلى أصوله.
- الاهتمام بفقهاء السلف الصالح والتمسك بمنهجهم.
- الاجتهاد في إطار الثوابت الشرعية لمواكبة متطلبات العصر.

2- الموقف من الحداثة والغرب:

- نقد القيم الغربية المادية واعتبارها مخالفة للقيم الإسلامية.
- رفض التغريب والتبعية الثقافية للغرب.
- التمييز بين الحداثة التقنية المقبولة والحداثة الفكرية المرفوضة.
- محاولة إيجاد نموذج حضاري إسلامي بديل.
- تأكيد الإصلاحيين على أن الإسلام يشجع العلم.
- محاولات التوفيق بين العلم الحديث والنصوص الدينية.

3- القضايا الاجتماعية:

- التأكيد على أهمية الأسرة والقيم الأخلاقية.
- الاهتمام بالتربية الإسلامية والتعليم الديني.
- الدعوة إلى الالتزام بالأداب والأخلاق الإسلامية.
- تنظيم العلاقات الاجتماعية وفق الشريعة الإسلامية.

نموذج عن الفكر الديني العربي: الفكر

السياسي عند جمال الدين الأفغاني

أولاً: المولد والنشأة

1. مولده:

ولد جمال الدين الأفغاني سنة 1839 بأسد آباد بأفغانستان، لأسرة ذات نسب شريف يمتد إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انتقل للعيش في مدينة كابل في سن الثامنة أين اهتم والده بتربيته وتعليمه، امتاز بالذكاء وسرعة البديهة من الوهلة الأولى، فتعلم العربية والأفغانية ونهل من علوم الدين، المنطق، الفلسفة، التاريخ والرياضيات.

2. نشأته:

انتقل إلى الهند بعمر الثامنة عشر لاستكمال دراسته هناك، فتعلم الانجليزية و العلوم الحديثة إلى أن نضج فكره، دأب على الترحال و السفر بين عدة بلدان، ثم عاد إلى بلاد الأفغان و خدم في الحكومة منها كوزير أول، لكنه غادرها مرة أخرى سنة 1869 متجها إلى الهند، ثم إلى مصر سنة 1870، ليقوم بها بضع سنين يدرس طلبته في بيته شتى أنواع العلوم من منطق و فلك و كلام و تصوف... الخ، بأسلوب شيق يخاطب العقل و يحثه على التفكير و البحث عن الحكمة، كما وجه طلابه إلى الاهتمام بالأدب و الخطابة و كتابة المقالات في شتى المجالات، فظهرت على يديه نهضة فكرية.

3. سفرياته:

سافر إلى لندن و باريس أين أسس جريدة العروة الوثقى مع تلميذه "محمد عبده"، نشر فيها مقالاتهما الحماسية الهادفة لإيقاظ الأمة و الإتحاد في الجامعة الإسلامية، ثم غادرها متجها إلى طهران سنة 1889، فاستعان به الشاه لإصلاح أحوال المملكة، لكن آراءه الإصلاحية و الثورية ألبت الشاه ضده وتم نفيه إلى البصرة لمدة، ثم رحل مرة أخرى باتجاه الأستانة (اسطنبول حاليا) سنة 1895 ليستضيفه "السلطان عبد الحميد الثاني" في أحد قصوره، و مرة أخرى اختلف مع السلطان بسبب آرائه، فكلفه ذلك فرض الرقابة عليه والبقاء حبيسا في قصره.

4. كتاباته:

توفي الأفغاني سنة 1897 و دفن في تركيا، ثم نقل جثمانه سنة 1944 إلى كابل في أفغانستان و وضع له ضريحا وسط الجامعة هناك. ترك الأفغاني القليل من الكتابات و الرسائل لاهتمامه بالدعوة و عدم التفرغ للكتابة، و من بين مؤلفاته: كتاب "البيان في الإنجليز و الأفغان"، "تتمة البيان في تاريخ الأفغان"، "رسالة في الرد على الدهريين"، و رد عن محاضرة المستشرق الفرنسي "رينان" عن "الإسلام و العلم".

ثانيا: مجمل أفكاره

تركزت أفكار الأفغاني الإصلاحية في الدعوة لمحاربة الاستعمار و مواجهة الاستلاب الحضاري و التغريب الثقافي، و السعي إلى توحيد الأمة في شكل جامعة إسلامية، و بعث نهضة إسلامية قائمة على الرجوع إلى أصول الدين و الهوية الإسلامية، و محاربة التقليد و الانهيار بالحضارة الغربية، و بث الحماس و إحياء روح الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

من أهم أفكاره نذكر ما يلي:

1- محاربة الاستبداد كمقدمة لبناء الدولة الإسلامية:

سعى الأفغاني إلى إقامة دولة إسلامية نموذجية في إحدى البلدان الإسلامية التي تكون مهيأة أكثر لذلك، بداية بمصر ثم إيران ثم الدولة العثمانية، و مفهوم الدولة النموذجية عنده يعني تلك التي تلتزم بالقرآن و السنة و تعتمد مبدأ الشورى و تحترم الأحكام الدستورية، و قد وجد الأفغاني في مصر الدولة الأصلح لنموذجه هذا فراهن عليها و على شعبيها، لكنه اصطدم بنظام الاستبداد للخديوي إسماعيل، الذي كان عقبة أمام أي محاولة للإصلاح، فخلص في الأخير إلى أن الجهل و غياب الوعي من أهم عوامل ازدهار النظام الاستبدادي، و أنه لا يمكن تحقيق أي إصلاح دون القضاء جذوره، و لأجل تحقيق هذه الغاية لجأ الأفغاني إلى توعية الجماهير الشعبية بفساد النظام الحاكم، و التركيز عليها دون النخبة السياسية التي اعتبرها دخيلة عليه، مستغلا قوة خطابه و بلاغته لاستمالة الجماهير و تعبئتها للمطالبة بالإصلاح و الثورة ضد الاستبداد. فشل الأفغاني في تجسيد مشروع و نموذجه الإصلاحية الثوري و تم طرده من مصر إلى الهند، لكن تلامذته و أتباعه في مصر نجحوا في استكمال مشروعه و القيام بثورة، أسست لنظام ملكي دستوري نيابي، لكن تدخل القوات البريطانية أجهض الثورة و النظام الإصلاحية الجديد.

2- محاربة الاستعمار وإقامة الجامعة الإسلامية:

أعاد الأفغاني النظر في أفكاره الإصلاحية بعد فشل تطبيق نموذجه، خاصة تلك المتعلقة بمعيقات الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي و وسائل تحقيقه، فبعد أن خلص إلى أن النظم المستبدة تمثل العائق الأكبر أمام أي إصلاح، تبين له جليا بعد إجهاض الإنجليز للثورة المصرية أن الاستعمار الغربي يشكل العقبة الكبرى في وجه أي عملية إصلاحية، كما اعتبر أن انقسامات المسلمين و تمزق وحدتهم السياسية، هي أهم العوامل التي مهدت الطريق لاستعمار العالم الإسلامي، لذلك كان أساس مشروعه النهضوي في هذه المرحلة هو تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة و إقامة جامعة إسلامية بين الدول الإسلامية المستقلة.

3- وسائل تحقيق المشروع الوحدوي عند الأفغاني:

- الاستمرار في تشجيع و دعم أي محاولة لبناء دولة إسلامية نموذجية في كبرى الدول الإسلامية كإيران التي لم تخضع بعد إلى الاستعمار الغربي.
- إثارة الشعوب الإسلامية ضد الاستعمار الغربي، خصوصا البريطاني في كامل الدول الإسلامية.
- دعوة الدول الإسلامية المستقلة: الدولة العثمانية، إيران، أفغانستان إلى الاتحاد لحماية استقلالهم، و المساعدة في تحرير البلاد الإسلامية المستعمرة، و قد تطورت هذه الدعوة لاحقا لتصبح فكرة الجامعة العربية.

- الاستفادة من الخلاف القائم بين فرنسا و بريطانيا لصالح تحرير البلاد الإسلامية الخاضعة للاستعمار البريطاني، كما اقترح أن تتعاون إيران و أفغانستان مع روسيا، لتحرير الهند المسلمة من الاستعمار البريطاني مقابل تقسيمها بينهم.

4- أهداف الجامعة الإسلامية:

- **سد الفجوة و التباعد بين المسلمين و الشيعة:** إذ اعتبر أن الاختلاف بين التيارين هو مجرد اختلاف هامشي، و أن الانقسام بينهما لا يخدم سوى مصالح الحكام المستبدين و مصالح الاستعمار الغربي.
- **سد الفجوة بين الجماعات القومية المسلمة المختلفة:** و في هذا الإطار انتقد الأفغاني الإيديولوجية القومية الصاعدة، مؤكدا على أن الإسلام هو الجنسية الوحيدة للمسلمين، كما هاجم السياسة العثمانية التي اعتمدت على سياسة التتريك في البلدان غير العثمانية، و دعا كافة المسلمين لاستخدام لغة واحدة هي اللغة العربية.

- **سد الفجوة السياسية بين الدول الإسلامية المستقلة:** حيث اقترح طريقتين للتوحيد:

- إقامة نوع من الاتحاد الفيدرالي أو الكومنولث تتمتع فيه الدول باستقلالها الداخلي.
- إقامة جامعة إسلامية على أساس التزام جميع الدول الإسلامية المنظمة إليها بذات القيم و الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن و السنة.

5- تقييم المشروع الوحدوي للأفغاني:

- **اعتماده على بعض الآليات المتناقضة:** في سبيل تحقيق نموذج الوحدوي اعتمد الأفغاني على بعض الآليات المتناقضة أحيانا، فنجد في دعوته لتوحيد الدول الإسلامية المستقلة يتعاون مع حكام تلك الدول، في حين تطلب سعيه نحو إصلاح النظم السياسية في الدول الإسلامية أن ينبه الجماهير المسلمة إلى فساد حكامها ويعمل على إثارتهم ضدهم، كما تطلب مسعاه نحو تحرير البلاد الإسلامية المحتلة أن يتعاون مع حكام الدول الإسلامية من جهة، و يعيى الجماهير المسلمة من جهة أخرى ضد الاستعمار تحت راية الخلافة العثمانية.

- **رهانه في كل مرة على دولة معينة لتجسيده نموذج:**

- **الرهان الأول على مصر:** لكن رهانه عليها فشل بسبب تدخل القوات البريطانية التي أجهضت ثورته.
- **الرهان الثاني على إيران:** كان توجهه إلى إيران كونها لم تخضع للاستعمار الغربي، لكنه وجد نفسه في أحيان كثيرة في صدام مع الشاه، رغم نجاحه في البداية في استمالاته نحو بناء نظام سياسي إسلامي دستوريا بتمثيل نيابي، إلا أن علاقتهما ساءت في النهاية و تم طرده من البلاد ففشل مشروعه للمرة الثانية.

■ **الرهان الثالث على الدولة العثمانية:** توجه نحو الدولة العثمانية لأنها كانت أقوى الدول الإسلامية المستقلة وأكثرها ندية للدول الغربية، و الأقدر على حماية الإسلام و توحيد المسلمين، فقام بمبايعة السلطان عبد الحميد خليفة للمسلمين، و دعوته لإصلاح النظام السياسي و تبني فكرة الجامعة الإسلامية، غير أن السلطان تشكك في نواياه الحقيقية، ورفض أفكاره الإصلاحية و مشروع الوحدوي للجامعة الإسلامية، بل أكثر من ذلك فقد قام بفرض الرقابة عليه و الإقامة الجبرية في الأستانة(اسطنبول حاليا)، ما جعل الأفغاني يتحول ضده و يعلن براءته من مبايعته خليفة للمسلمين.

خاتمة:

بالرغم من فشل الأفغاني في تطبيق أفكاره و تجسيد مشروعه الإصلاحي و الوحدوي، إلا أنه نجح إلى حد ما في إيقاظ شريحة كبيرة من الأمة الإسلامية، التي أصبحت واعية بحقوقها و مسؤولياتها.

المحاضرة الثانية عشر: التيار القومي في الفكر

السياسي العربي

مقدمة:

يعد التيار القومي العربي من أبرز التيارات الفكرية والسياسية التي شكلت ملامح الواقع العربي الحديث، إذ ارتبط ظهوره و تطوره؛ بسياق تاريخي و حضاري لبعث النهضة العربية و مواجهة الاستعمار الغربي، و السعي نحو بناء الدولة الوطنية الحديثة على أسس وحدوية؛ مستندا إلى مقومات تاريخية و لغوية و ثقافية مشتركة، ساعيا إلى تجاوز حالة التجزئة و التخلف التي هيمنت على البلاد العربية.

أولاً: تعريف الفكر السياسي القومي العربي

الفكر السياسي القومي العربي هو حركة فكرية إصلاحية تهدف إلى النهوض بالمجتمع العربي و تطوير مؤسساته و تحديث بنيانه، مع الحفاظ على أصالته و قيمه الحضارية، ظهر في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، اكتسب زخماً كبيراً خلال فترة الاستعمار الأوروبي للعالم العربي و بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية، يدعو إلى:

- تحرير الوطن العربي من السيطرة الأجنبية و تحقيق وحدته السياسية و الاقتصادية.
- الوحدة على أساس اللغة و الثقافة و التاريخ المشترك، و يقوم على الشعور الجماعي بالانتماء إلى أمة واحدة تجمعها وحدة اللغة و التاريخ و الثقافة و المصير المشترك.

ثانياً: نشأة الفكر القومي العربي

جاء الفكر القومي العربي كرد فعل على:

- **سياسات التتريك:** التي فرضتها الإمبراطورية العثمانية، حيث تبني السلطان عبد الحميد الثاني ثم حكومة الاتحاد و الترقى سياسة التتريك و فرض اللغة التركية على حساب العربية في الإدارة و التعليم، تهميش العرب في مناصب الدولة العثمانية.
- **الاستعمار الأوروبي للمنطقة العربية:** مثل احتلال فرنسا للجزائر (1830) و تونس (1881) و بريطانيا مصر (1882).
- **تقسيم المنطقة العربية:** بموجب اتفاقية سايكس-بيكو (1916).
- **وعد بلفور (1917):** و المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين و بداية الهجرات اليهودية.

- ظهور المطابع والصحافة العربية: مثل جريدة الوقائع المصرية، جريدة الجنان.
- البعثات التعليمية: إلى أوروبا و التأثير بالأفكار الغربية.
- إعادة إحياء التراث العربي: والاهتمام باللغة العربية.
- إنشاء الجمعيات السرية: مثل "العربية الفتاة" و"العهد" التي طالبت بحقوق العرب ضمن الدولة العثمانية قبل أن تتحول المطالب لاحقاً نحو الاستقلال.
- إسهام المفكرين المسيحيين العرب: و أشهرهم ناصيف اليازجي و بطرس البستاني، و دعوتهم إلى تبني فكرة الهوية العربية الجامعة بعيداً عن الهوية الدينية الإسلامية.

ثالثاً: أهم المفكرين والرواد القوميين العرب

من أبرز مؤسسي الفكر القومي العربي:

- ساطع الحصري: يعتبر الأب الروحي للقومية العربية الحديثة.
- ميشيل عفلق وصلاح البيطار: مؤسساً حزب البعث العربي.
- قسطنطين زريق: صاحب كتاب "الوعي القومي".

رابعاً: المبادئ الأساسية للتيار القومي العربي

التيار القومي العربي يقوم على مجموعة من المبادئ، أهمها:

- الوحدة العربية: يؤمن التيار القومي بأن الشعوب العربية تشكل أمة واحدة تجمعها روابط اللغة و التاريخ و الثقافة المشتركة، حيث يدعو إلى وحدة سياسية(على أساس اللغة و الثقافة والتاريخ المشترك) بين الدول العربية تتجاوز الحدود المصطنعة التي رسمتها القوى الاستعمارية.
- التحرر من الاستعمار: يدعو التيار القومي إلى مقاومة جميع أشكال الهيمنة الأجنبية و الاستعمار في المنطقة العربية، حيث يسعى لتحقيق الاستقلال الحقيقي؛ السياسي و الاقتصادي و الثقافي.
- العروبة و الهوية العربية: التأكيد على الخصوصية الثقافية و الحضارية للأمة العربية، و الاعتزاز باللغة العربية و التراث العربي مع الانفتاح على تجارب الشعوب الأخرى.
- العدالة الاجتماعية: الاهتمام بقضايا العدالة الاجتماعية و إعادة توزيع الثروة، و مناهضة الاستغلال الطبقي و الفوارق الاجتماعية الحادة.
- قضية فلسطين: اعتبار قضية فلسطين قضية مركزية للأمة العربية، و الدعوة لتحرير الأراضي الفلسطينية و مناهضة الصهيونية.
- التطور و التقدم: الدعوة للنهضة و التحديث و التقدم في مختلف المجالات مع الحفاظ على الهوية العربية، و الإيمان بدور الدولة في قيادة عملية التنمية و التطور.

- **السيادة على الموارد:** التأكيد على حق الشعوب العربية في السيطرة على مواردها الطبيعية، و رفض الهيمنة الأجنبية على الاقتصاديات العربية.
- **التضامن العربي:** الدعوة للتضامن بين الدول العربية في مواجهة التحديات المشتركة، تنسيق المواقف العربية في المحافل الدولية.

خامسا: الحركات والأحزاب القومية العربية

كان للتيار القومي العربي تأثير كبير في تاريخ المنطقة العربية في القرن العشرين، خاصة في فترة الخمسينيات والستينيات مع صعود زعماء مثل جمال عبد الناصر في مصر، و تشكل حركات و أحزاب سياسية أهمها:

- حزب البعث العربي الاشتراكي (تأسس عام 1947).
- حركة القوميين العرب (تأسست عام 1951).
- الناصرية (نسبة إلى جمال عبد الناصر).
- التيارات الوحدوية المختلفة في مصر و سوريا و العراق.

سادسا: تجارب عملية للوحدة العربية

- الجمهورية العربية المتحدة (الوحدة المصرية-السورية 1958-1961).
- مشروع الوحدة الثلاثية بين مصر و العراق و سوريا 1963.
- اتحاد الجمهوريات العربية (مصر و ليبيا و سوريا 1971).

سابعا: تحديات الفكر القومي العربي

- واجه الفكر القومي العربي تحديات عديدة، منها:
- الصراعات بين الأنظمة العربية.
- هزيمة 1967 وتأثيرها على المشروع القومي.
- الصراع العربي-الإسرائيلي وتطورات.
- التحولات الاقتصادية و الاجتماعية في العالم العربي.
- المنافسة مع التيارات الفكرية الأخرى: مثل الإسلام السياسي الذي قدم نفسه كبديل أصيل للقومية المستوردة، و كذلك التيار الليبرالي الذي يركز على قضايا الديمقراطية و حقوق الإنسان، و التيارات القطرية الوطنية المحلية التي أعلنت من شأن الهوية الوطنية على حساب الهوية القومية.

ثامنا: مراحل تطور الفكر القومي العربي

المرحلة الأولى: من الثورة العربية الكبرى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية (1916-1945)

شهدت هذه الفترة عدة تطورات مفصلية:

- الثورة العربية الكبرى 1916 : التي قادها الشريف حسين بن علي ومثلت أول محاولة عملية لتحقيق الاستقلال العربي.
- وعد بلفور و سايكس-بيكو: التي كشفت عن حقيقة المطامع الاستعمارية في المنطقة العربية وخيانة الوعود البريطانية للعرب.
- نظام الانتداب : الذي كرس تقسيم المنطقة العربية وأدى إلى تنامي المشاعر القومية المناهضة للاستعمار.
- قضية فلسطين: التي أصبحت قضية محورية في الفكر القومي العربي و عاملاً موحداً للحركات القومية.

المرحلة الثانية: عصر المد القومي 1945-1967

تميزت هذه المرحلة بما يلي:

- تبلور الأيديولوجية القومية: من خلال كتابات مفكرين مثل ساطع الحصري (1880-1968) الذي ركز على أهمية اللغة و التاريخ المشترك، و ميشيل عفلق (1910-1989) مؤسس حزب البعث الذي مزج بين القومية والاشتراكية.
- ثورة يوليو 1952 في مصر: و صعود جمال عبد الناصر الذي تحول إلى رمز للقومية العربية و قدم نموذجاً عملياً لها من خلال تأميم قناة السويس (1956) و مواجهة العدوان الثلاثي، تجربة الوحدة بين مصر و سوريا (1958-1961) ، دعم حركات التحرر العربية و الأفريقية.
- انتشار الأحزاب القومية: مثل حزب البعث العربي الاشتراكي و حركة القوميين العرب التي أسسها جورج حبش عام 1951 .
- تبني نماذج تنموية هجينة: تجمع بين القومية و الاشتراكية في دول مثل لمصر و سوريا والعراق والجزائر.

المرحلة الثالثة : تراجع المد القومي 1967-1991

شهدت هذه المرحلة تراجعاً ملحوظاً للفكر القومي العربي نتيجة:

1. نكسة يونيو 1967: التي شكلت ضربة قوية للمشروع القومي العربي وأدت إلى مراجعات فكرية عميقة.
2. صعود التيارات الإسلامية : التي طرحت نفسها بديلاً عن القومية العربية بعد إخفاقاتها.
3. اتفاقية كامب-ديفيد 1978 : التي مثلت خروجاً من الإجماع القومي العربي.
4. الحرب العراقية الإيرانية 1980-1988 : التي استنزفت القدرات العربية و عمقت الانقسامات.
5. انهيار الاتحاد السوفييتي: الذي كان حليفاً استراتيجياً للعديد من الأنظمة القومية العربية.

المرحلة الرابعة: ما بعد حرب الخليج الثانية إلى الربيع العربي 1991-2010

اتسمت هذه المرحلة بـ:

1. تفكك المعسكر القومي العربي: بعد غزو العراق للكويت وانقسام الموقف العربي حيال هذه الأزمة.
2. هيمنة النظام العالمي الأحادي: بقيادة الولايات المتحدة و وضع منطقة الشرق الأوسط تحت نفوذها المباشر.

3. التحول نحو الليبرالية الاقتصادية: وتراجع النماذج التنموية التي ارتبطت بالفكر القومي.
4. ظهور مشاريع إقليمية منافسة: مثل المشروع الإيراني و المشروع التركي.

المرحلة الخامسة : من الربيع العربي إلى اليوم(2011 --حتى الآن)

تميزت هذه المرحلة بـ:

1. ثورات الربيع العربي: التي أعادت طرح قضايا الهوية و القومية بأشكال جديدة.
2. تنامي النزاعات الطائفية و الإثنية: التي هددت وحدة العديد من الدول العربية.
3. تراجع مفهوم الدولة الوطنية: في مناطق مثل سوريا و العراق و ليبيا و اليمن.
4. ظهور تنظيمات عابرة للحدود: مثل تنظيم "داعش" الذي تحدى مفهوم الدولة القطرية.
5. تعمق التدخلات الإقليمية و الدولية: في شؤون المنطقة العربية.

تاسعا: المدارس الفكرية ضمن التيار القومي العربي

تطور الفكر القومي العربي ضمن عدة مدارس فكرية، أهمها:

1. المدرسة الثقافية-اللغوية:

تزعمها ساطع الحصري الذي اعتبر أن اللغة و التاريخ المشترك هما أساس الأمة، متأثراً بالفكر القومي الألماني من أبرز مقولاته: "كل من يتكلم العربية هو عربي". ركزت هذه المدرسة على:

- أهمية اللغة العربية كوعاء للهوية و الثقافة.
- دور التعليم و التربية في تعزيز الانتماء القومي.
- أهمية التاريخ المشترك في تكوين الوعي القومي.

2. المدرسة البعثية:

أسسها ميشيل عفلق وصلاح البيطار، و قدمت مزيجاً من القومية و الاشتراكية و العلمانية تحت شعار "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة"، تميزت بـ:

- الجمع بين العروبة و الإسلام كمكونين أساسيين للهوية العربية.
- الإيمان بالوحدة العربية كهدف استراتيجي.

- تبني الاشتراكية كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية.
- التركيز على مفهوم البعث والنهضة كمشروع حضاري شامل.

3. المدرسة الناصرية:

ارتبطت بفكر و ممارسة جمال عبد الناصر، و قدمت نموذجاً عملياً للقومية العربية من خلال:

- المزج بين التحرر الوطني و القومي و العدالة الاجتماعية.
- تبني مفهوم " التضامن العربي " كبديل عملي عن " الوحدة الاندماجية".
- الموقف المناهض للإمبريالية و الاستعمار.
- تأكيد دور مصر القيادي في العالم العربي.

4. المدرسة القومية الليبرالية

مثلها مفكرون مثل قسطنطين زريق و ندره الخوري، و ركزت على:

- الجمع بين القيم الليبرالية الحرة و الديمقراطية و الفكر القومي.
- الاهتمام بقضايا التنمية و التحديث كأساس للنهضة العربية.
- النظرة النقدية للاتجار بالقومية الاستبدادية.

5. المدرسة القومية اليسارية

مثلها مفكرون مثل محمود أمين العالم و مهدي عامل، و جمعت بين:

- تحليل الواقع العربي باستخدام أدوات التحليل الماركسي.
- ربط التحرر القومي بالتحرر الطبقي.
- نقد هيمنة البرجوازية على المشروع القومي العربي.

عاشرا: المفاهيم المركزية في الفكر القومي العربي

1- مفهوم الأمة العربية:

اختلفت تعريفات الأمة العربية بين:

- **التعريف اللغوي-الثقافي:** الذي يؤكد على اللغة العربية و الثقافة المشتركة.
- **التعريف التاريخي:** الذي يركز على التاريخ المشترك و الذاكرة الجماعية.
- **التعريف الإرادي:** الذي يؤكد على الرغبة في العيش المشترك و المصير الواحد.
- **التعريف الجغرافي:** الذي يحدد الأمة بالحيز الجغرافي المعروف بالوطن العربي.

2- مفهوم الوحدة العربية:

تنوعت تصورات الوحدة العربية بين:

- **الوحدة الاندماجية الشاملة:** التي تدعو لإقامة دولة عربية واحدة.
- **الوحدة الفيدرالية:** التي تحافظ على خصوصيات الأقاليم ضمن إطار فيدرالي.
- **الوحدة الكونفدرالية:** التي تقوم على التنسيق بين دول مستقلة ذات سيادة.
- **التضامن والتكامل:** كصيغة عملية للعمل العربي المشترك.

3- مفهوم القومية والإسلام:

تباينت العلاقة بين القومية و الإسلام من:

- **النظرة التوفيقية:** التي تعتبر الإسلام مكوناً أساسياً للهوية العربية (ميشيل عفلق).
- **النظرة العلمانية:** التي تفصل بين الانتماء الديني والانتماء القومي (ساطع الحصري).
- **النظرة التكاملية:** التي ترى في العروبة وعاء الإسلام مضموناً (عبد الله العروبي).

إحدى عشر: نقد الفكر القومي العربي

1- النقد الإسلامي:

- قدمه مفكرون إسلاميون مثل حسن البنا و سيد قطب، و ركز على:
- اعتبار القومية فكرة مستوردة تتعارض مع مفهوم الأمة الإسلامية.
- نقد علمانية بعض التيارات القومية و تهميشها للبعد الديني.
- اتهام القومية بتكريس التجزئة في العالم الإسلامي.

2- النقد الليبرالي:

- قدمه مفكرون ليبراليون مثل فؤاد زكريا و أحمد صدقي الدجاني، و ركز على:
- نقد الممارسات الاستبدادية للأنظمة القومية.
- غياب الديمقراطية و التعددية في الفكر القومي.
- تقديس الدولة على حساب الفرد و المجتمع المدني.

3- النقد الماركسي:

- قدمه مفكرون يساريون مثل سمير أمين و إلياس مرقص، و ركز على:
- الطابع البرجوازي للأيديولوجية القومية.
- تجاهل البعد الطبقي في تحليل المجتمعات العربية.
- ضعف التحليل الاقتصادي في الفكر القومي.

4- النقد ما بعد الحداثي:

قدمه مفكرون مثل إدوارد سعيد و محمد أركون، و ركز على:

- نقد الخطاب القومي الأحادي الذي يهمل التنوع و التعدد.
- كشف آليات السلطة و الهيمنة في الخطاب القومي.
- نقد المفاهيم الجوهرية حول الهوية العربية.

نموذج عن الفكر القومي العربي: الفكر القومي

عند ساطع الحصري:

مقدمة:

يُعد ساطع الحصري (1882-1968) من أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين وأحد الآباء المؤسسين للفكر القومي العربي الحديث. قدم الحصري إسهامات فكرية عميقة في تأصيل مفهوم القومية العربية وتحديد أبعادها النظرية والتطبيقية في سياق تاريخي متميز اتسم بانهيار الإمبراطورية العثمانية وتصاعد الاستعمار الأوروبي للوطن العربي.

أولاً: مولده ونشأته وتعليمه

1- مولده:

ولد ساطع الحصري عام 1882 في صنعاء، اليمن، لأب من أصول سورية كان يعمل موظفاً في الدولة العثمانية، تلقى تعليمه في المدارس العثمانية، وتخرج من المدرسة الملكية في إسطنبول عمل في الجهاز الإداري للدولة العثمانية، وتقلد عدة مناصب تعليمية حتى أصبح مديراً لدار المعلمين في إسطنبول.

2- التحول نحو القومية العربية:

- شهد الحصري نهاية الإمبراطورية العثمانية وبداية الانتداب الأوروبي على البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى.
- انتقل من الانتماء للفكر العثماني إلى تبني الفكرة القومية العربية بعد خيبة أمله من النزعة الطورانية التركية التي هدفت إلى توحيد أبناء العرق التركي الذين ينتمون إلى لغة و ثقافة واحدة.
- تأثر بالفكر القومي الأوروبي خاصة النموذج الألماني الذي يؤكد على أهمية اللغة والتاريخ كأساس للقومية.

3- نشاطه العلمي والسياسي:

- عمل وزيراً للمعارف في سوريا خلال حكم الملك فيصل الأول (1918-1920).
- انتقل للعمل في العراق بعد احتلال فرنسا لسوريا، وساهم في تأسيس النظام التعليمي العراقي الحديث.
- أسس مجلة "المعلم الجديد" التي كانت منبراً لأفكاره القومية.
- أشرف على تأليف الكتب المدرسية التي تعزز الوعي القومي العربي في العراق ودول عربية أخرى.

ثانياً: أسس القومية العربية عند الحصري

1- مفهوم الأمة عند الحصري:

- يعرف الحصري الأمة بأنها "مجموعة من الناس تتكلم لغة واحدة، وتعيش على أرض واحدة، ولها تاريخ مشترك وآمال وآلام مشتركة".
- يفرق بين مفهومي الأمة والدولة، فالأمة وجود طبيعي تاريخي، بينما الدولة تنظيم سياسي قد يتطابق أو لا يتطابق مع حدود الأمة.
- يؤكد أن الأمة العربية وجدت قبل ظهور الإسلام، واستمرت بعده، لكن الإسلام عزز وحدتها وامتدادها.

2- اللغة كأساس للقومية العربية:

- يعتبر الحصري اللغة العربية أهم رابط يجمع أبناء الأمة العربية، يقول في هذا السياق: "إن اللغة هي روح الأمة وحياتها".
- يرى أن اللغة العربية عنصر حاسم في تكوين العقلية العربية والشخصية القومية العربية، وهي تشكل عاملاً موحداً للعرب على اختلاف مذاهم وأقاليمهم.
- يؤكد على أن اللغة وعاء الثقافة والفكر، وأن الأدب العربي يعكس التجارب المشتركة للأمة العربية عبر العصور.
- يرى أن اللغة ليست أداة للتفاهم فحسب، بل هي مستودع تراث الأمة وثقافتها وتاريخها، وهي ينبوع أفكارها ومشاعرها.
- يعتبر الحصري أن اللغة العربية تحمل في طياتها تراثاً ثقافياً وفكرياً عريقاً، وأن الحفاظ عليها وتطويرها هو حفاظ على هذا التراث وضمان لاستمراره.

3- التاريخ المشترك كعنصر أساسي في القومية:

- يعتبر التاريخ المشترك العنصر الثاني الأهم في تكوين الأمة بعد اللغة، يقول: "التاريخ هو ذاكرة الأمة، وبدون هذه الذاكرة تفقد الأمة هويتها".
- يرى أن التجارب التاريخية المشتركة للعرب، إيجابية كانت أم سلبية، تشكل وعياً قومياً مشتركاً.

- يرى الحصري أن التاريخ المشترك، بما يحمله من أمجاد وانتصارات وأيضاً هزائم ومآسي، يشكل مصدراً للتضامن والوحدة بين أبناء الأمة الواحدة. وقد اهتم بشكل خاص بالأحداث التي وحدت العرب في مواجهة أعدائهم، مثل الحروب الصليبية ومقاومة الاستعمار الحديث.
- يؤكد على أهمية إعادة كتابة التاريخ العربي من منظور قومي لتعزيز الوعي القومي، حيث ركز على الفترات التي شهدت وحدة سياسية عربية، مثل الدولة الأموية والعباسية، واعتبرها نماذج للوحدة العربية. كما اهتم بإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في تطور الحضارة الإنسانية.

ثالثاً: موقف الحصري من الأفكار الوحدوية المنافسة للقومية العربية

1- موقفه من الفكرة العثمانية:

- رفض فكرة الجامعة العثمانية بعد أن تبني القادة الأتراك النزعة الطورانية.
- انتقد سياسة التتريك التي مارستها الدولة العثمانية في أواخر عهدها.
- رأى أن انهيار الدولة العثمانية فتح المجال لهيضة القومية العربية.

2- موقفه من الإقليمية والقطرية:

- رفض تقسيم الوطن العربي إلى دول منفصلة على أساس الحدود الاستعمارية.
- اعتبر الدول القطرية مجرد كيانات مصطنعة فرضها الاستعمار.
- دعا إلى تجاوز الولاءات المحلية لصالح الانتماء القومي العربي الشامل.

3- موقفه من الدين والقومية:

- يميز الحصري بين الدين كعقيدة والقومية كإيمان، ويرى أنهما لا يتعارضان.
- يرفض اعتبار الدين أساساً للقومية، خلافاً للاتجاه الإسلامي الذي يرى أن الإسلام هو أساس الهوية.
- يؤكد أن المسيحيين العرب جزء أصيل من الأمة العربية بحكم اللغة والتاريخ المشترك.
- يعتبر أن الدين رابطة تجمع أفراداً من قوميات مختلفة، بينما القومية تجمع أفراداً قد يختلفون في معتقداتهم الدينية.
- من خلال التركيز على اللغة و التاريخ المشترك، سعى الحصري إلى تجاوز الانقسامات الدينية والطائفية التي كانت تعاني منها المنطقة العربية، فهو يرى أن اللغة العربية و التاريخ المشترك يوحدان المسلمين والمسيحيين وغيرهم من أبناء المنطقة، و أن القومية العربية يجب أن تكون جامعة لكل من يتكلم العربية و يشارك في التاريخ المشترك.

4- موقفه من الماركسية والاشتراكية:

- انتقد الحصري الماركسية لإنكارها دور القومية و تركيزها على الصراع الطبقي .

■ رأى أن الاشتراكية كنظام اقتصادي قد تكون مفيدة للمجتمع العربي، لكنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن الفكر القومي.

■ اعتبر أن الصراع الطبقي ليس هو المحرك الأساسي للتاريخ، بل المشاعر القومية و الثقافية.

رابعاً: موقف الحصري من القضايا السياسية المعاصرة

1- الاستعمار والإمبريالية:

عارض الحصري بشدة الاستعمار الغربي، و اعتبره عائقاً أساسياً أمام تحقيق الوحدة العربية و النهضة العربية، وقد حلل آليات الاستعمار الثقافي والفكري، وكشف عن دوره في ترسيخ التجزئة و إضعاف الهوية العربية.

2- القضية الفلسطينية:

- اعتبر الحصري القضية الفلسطينية قضية مركزية للأمة العربية.
- رأى في الصهيونية مشروعاً استعمارياً يهدف إلى تفتيت الوطن العربي.
- دعا إلى التضامن العربي لمواجهة هذا المشروع.
- أكد على ضرورة تحرير فلسطين كخطوة أساسية نحو تحقيق الوحدة العربية.

3- العلاقة مع الغرب:

كان موقف الحصري من الغرب متوازناً، فهو لم يدع إلى القطيعة مع الحضارة الغربية، بل دعا إلى التعامل معها بشكل انتقائي، والاستفادة من منجزاتها العلمية و التكنولوجية، مع الحفاظ على الهوية العربية و الإسلامية.

خامساً: دوره في التعليم والتربية القومية

- اهتم الحصري بشكل كبير بالتعليم و التربية القومية، و اعتبر أن المدرسة هي مصنع الأمة لذلك وضع لها أسساً و مناهج تهدف إلى تنشئة الأجيال الجديدة على الوعي بالهوية العربية والانتماء للأمة العربية، و رأى أن التربية القومية هي الوسيلة الأساسية لبناء الوعي القومي و مقاومة التجزئة و الاستعمار، حيث عمل على:
- الحد من تأثير المناهج الغربية التي رأى أنها تضعف الانتماء القومي العربي.
 - انتقاد المناهج التي تروج للتاريخ المحلي كتاريخ مصر أو العراق، معتبراً إياها تهديداً للهوية الجامعة.
 - وضع مناهج تعليمية تعزز الوعي القومي في العراق وسوريا وغيرهما.
 - التشديد على تدريس التاريخ العربي المشترك، و تأليف كتب مدرسية في التاريخ و التربية الوطنية التي تؤكد على وحدة الأمة العربية.

- السعي إلى توحيد المناهج التعليمية في البلاد العربية،
- إحياء اللغة العربية الفصحى و تدريسها للطلاب لأن ذلك يعزز التواصل بين الشعوب العربية و يقضي على الانقسامات.
- تجديد الفكر الديني و تحريره من الخرافات والبدع.